

روح المعاني

وقيل : إن الأحسن في الجواب إلترام أن ما في الخبرين ليس من الشفاعة في شيء ويقال : إن إبراهيم E ظن أن خزي أبيه فيمعنى الخزي له فطلب بحكم وعد الله سبحانه إياه أن لا يخزيه تخليصه من ذلك حسبما يمكن فخلصه منه بمسحه ذبحا ولعل ذلك مما يعده إبراهيم عليه السلام تخليصا له من الخزي لإختلاف النوع وعدم معرفة العارفين لأبيه بعد أنه أبوه فكأن الأبوة إنقطعت من البين ويؤذن بذلك أنه بعد المسح يأخذ سبحانه بأنفه فيقول عليه السلام : يا عبيدي هذا أبوك فيقول : لا وعزتك ولعل المراد من التبري في الرواية السابقة فيالخير الأول هو هذا القول وتوسيط حديث تحريم الجنة على الكافرين ليس لأن إبراهيم عليه السلام كان طالبا إدخال أبيه فيها بل لإظهار عدم إمكان هذا الوجه من التخليص إقناطاً لأبيه وإعلاما له بعظم ما أتى به ويحمل قوله عليه السلام في خبر الحاكم حين يقال له : يا عبيدي أدخل منأي أبواب الجنة شئت أي رب وأبي معي على معنى أدخل وأبي واقف معي والمراد لا أدخل وأبي في هذه الحال وإنما أدخل إذا تغيرت ويكون قوله عليه السلام : فإنك وعدتني أن لا تخزيني تعليلا للنفي المدلول عليها الإستفهام المقدر وحينئذ يرجع الأمر إلى طلب التخليص عما ظنه خزيا له أيضا فيمسح ضبعا لذلك ولا يرد أن التخليص ممكن بغير المسح المذكورلأننا نقول لعل إختيار ذلك المسح دون غيره من الأمور الممكنة ما عدا دخول الجنة لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه وقد ذكروا أن حكمة مسحه ضبغا دون غيره من الحيوانات أن الضبع أحق الحيوانات ومن حمقه أنه يغفل عما يجب له التيقظ ولذلك قال علي كرم الله تعالى وجهه : لا أكون كالضبع يسمع الكدم فيخرج له حتى يصاد وآزر لما لم يقبل النصيحة من أشفق الناس عليه زمان إمكان نفعها له وأخذ بإزرته حين لا ينفعه ذلك شيئا كان أشبه الخلق بالضبع فمسح ضبعا دون غيره لذلك ولم يذكروا حكمة إختيار المسح دون غيره وهو لا يخلو عن حكمة والجهل بها لا يضر إنتهى .

ولا يخفى ما في هذا الجواب من التكلف وأولى منه إلترام كون فاعل وعد ضمير الأب وضمير إياه راجعا إلى إبراهيم E وكون التبين والتبري واقعين في الآخرة حسبما تضمنه الخبران السابقان فحينئذ لا يبعد أن يكون إبراهيم مستغفر لأبيه بعد وعده إياه بالإيمان طالبا له الجنة لظن أنه وفي بوعده حتى يمسح ذبحا لكن لا يساعد عليه ظاهر الآية ولا المأثور عن سلف الأمة وإن صح كون الآية عليه دفعا لما يرد على الآية الأولى من النقص أيضا بالعناية ولعل أخف الأجوبة مؤنة كون مراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام من تلك المحاورة التي تصدر منه في ذلك الموقف إظهار العذريه لأبيه وغيره على أتم وجه لا طلب المغفرة حقيقة وهذا كما قال

المعتزلة في سؤال موسى عليه السلام رؤية الله تعالى مع العلم بامتناعها في زعمهم والقول بأن أهل الموقف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم من سائر المؤمنين والكفار سواء في العلم بامتناع المغفرة للمشرك مثلا في حيز المنع وربما يدعى عدم المساواة لظاهر طلب الكفار العفو والإخراج من النار ونحو ذلك بل في الخبرين السابقين ما يدل على عدم علم الأب بحقيقة الحال وأنه لا يغفر له فتأمل ذاك والله سبحانه يتولى هداك وبقي أيضا أنه يستشكل القول بأن إستغفار إبراهيم E لأبيه حتى تبين له أنه عدو الله كان في حياته بما في سورة الممتحنة من قوله سبحانه : قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله سبحانه : إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك حيث منع من الإقتداء به فيه ولو كان في حياته لم يمنع منه لأنه يجوز الإستغفار بمعنى طلب الإيمان لأحياء المشركين وأجيب بأنه إنما منع من الإقتداء بظاهرة وطن